

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على اشرف الانبياء والمرسلين
نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

قال الله تعالى: (وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ 56 مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُوا (57) إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ (58) (سورة الذاريات)

شرح الكلمات:

وما خلقت الجن والإنس: أي خلقتهم لأجل أن يعبدوني فمن عبادي أكرمته ومن ترك عبادتي أهنته.

الجن: عالم مستتر عن الأنظار. وهم عالم غيبي مخفي عنا، ولهذا جاءت المادة من الجيم والنون، وهما يدلان على الخفاء والاستتار ومنه: الجنة، والجنة، والجنة.

الإنس: هم بنو آدم. سموا بذلك، لأنهم لا يعيشون بدون إيناس، فهم يأنس بعضهم ببعض، ويتحرك بعضهم إلى بعض.

يعبدون: أي يوحدون. والعبادة: اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة. وفسر: إلا ليوحدون، وهذا حق، وفسر: بمعنى يتذللون لي بالطاعة فعلا للمأمور، وتركوا للمحظور، ومن طاعته أن يوحد سبحانه وتعالى، فهذه هي الحكمة من خلق الجن والإنس.

ولهذا أعطى الله البشر عقولا، وأرسل إليهم رسلا، وأنزل عليهم كتباً، ولو كان الغرض من خلقهم كالغرض من خلق البهائم، لضاعت الحكمة من إرسال الرسل، وإنزال الكتب، لأنه في النهاية يكون كشجرة نبتت، ونمت، وتحطمت. ولهذا قال تعالى: {إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَأْدُكَ إِلَى مَعَادٍ} [القصص: من الآية 85] فلا بد أن يردك إلى معاد تجازي على عملك إن خيراً فخير، وإن شراً فشر. وليست الحكمة من خلقهم نفع الله،

ولهذا قال تعالى: {مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُوا} [الذاريات: 57]. وأما قوله تعالى: {مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فُيُضَاعِفَهُ لَهُ} [البقرة: من الآية 245] فهذا ليس إقراضاً لله سبحانه، بل هو غني عنه، لكنه سبحانه شبه معاملة عبده له بالقرض؛ لأنه لا بد من وفائه، فكأنه التزام من الله سبحانه أن يوفي العامل أجر عمله، كما يوفي المقرض من أقرضه.
ما أريد منهم من رزق: لم يرد الله منهم أن يرزقوا أنفسهم ولا يرزقوا غيرهم.

وما أريد أن يطعمون: بل هو سبحانه الرازق ذو القوة المتين، الذي يُطْعِمُ ولا يُطْعَمُ

الرازق: كثير الرزق خلقه.

ذو القوة: صاحب القوة.

المتين: الشديد القوة.

الشرح الإجمالي:

يخبرنا الله -سبحانه وتعالى- أنه هو الذي أوجد الجن والإنس، وأن الحكمة من إيجادهم هي إفراده بالعبادة والكفر بما سواه، وأنه لم يخلقهم لمصلحة نفوذ لذاته، وإنما أوجدهم للعبادة، وتكفل بأرزاقهم، وهو صادق بوعده قادر على تحقيقه لأنه قوي متين. الله سبحانه وتعالى بيّن لنا الحكمة من خلقه الثقلين: الجن والإنس، وهي: أنه إنما خلقهم لشيء واحد،

وهو: العبادة، ولهذا جاء بالخصر " {وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ} " حَصَرَ الحكمة من خلق الجن والإنس في شيء واحد وهو: أنهم يعبدونه، فالحكمة من خلق المخلوقات هي: عبادة الله سبحانه وتعالى، خلق الله الجن والإنس للعبادة، وخلق كل الأشياء لمصالحهم، سَخَّرَهَا لهم ليستعينوا بها على عبادته سبحانه وتعالى.

ومعنى {لِيَعْبُدُونِ} أي: يفردوني بالعبادة، أو تقول بعبارة أخرى: {لِيَعْبُدُونِ} ليوحدون، لأن التوحيد والعبادة شيء واحد.

ومع كونه سبحانه وتعالى خلقهم لعبادته؛ فمنهم من قام بالعبادة وعبد الله، ومنهم من لم يعبد الله، إذ لا يلزم من كونه خلقهم لعبادته أن يعبدوه كلهم، بل يعبد من شاء الله - سبحانه وتعالى- له الهداية، ويكفر به من شاء الله له الضلالة، ومعنى: " {إِلَّا لِيَعْبُدُونِ} " أي: إلا لأمرهم بعبادتي، أو لأمرهم وأحكامهم، كما قال-تعالى -: {أَتُحْسِبُ الْإِنْسَانَ أَنْ يُتْرَكَ سُدىً (36) } أي: لا يؤمر ولا يُنهى.

وما دام أن الله سبحانه وتعالى خلق الثقلين لعبادته فهذا يدل على أن العبادة هي الأصل، وأن التوحيد هو الأصل والأساس. ثم قال-جل وعلا-: {مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُوا (57) } هذا فيه بيان أن الله- جل وعلا- ليس بحاجة إلى عبادتهم، وإنما هم يحتاجون إلى عبادة الله {مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُوا (57) } إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ (58) ، فالله خلق الثقلين لعبادته، ولكنه- جل وعلا- ليس محتاجاً إلى عبادتهم، إذاً من هو المحتاج إلى العبادة؟ هم العباد أنفسهم.

ولهذا قال: {وَقَالَ مُوسَى إِنَّ تَكْفُرُوا أَنْتُمْ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ جَمِيدٌ (8) } ، فالله لا تضره معصية العاصي، ولا تنفعه طاعة المطيع، وإنما الطاعة تنفع صاحبها، والمعصية تضر صاحبها، قال-تعالى -: {إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ} وفي الحديث القدسي، أن الله سبحانه وتعالى يقول: "يا عبادي، لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم ما زاد ذلك في ملكي شيئاً، ولو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل واحد منكم ما نقص ذلك من ملكي شيئاً"، وفي ختام الحديث العظيم، قال: "يا عبادي، إنما هي أعمالكم أحصيها لكم، ثم أوفيكهم إياها؛ فمن وجد خيراً فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه".

